المحاضرة الرابعة

الامارة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م)

ا.د. صفوان طه حسن

أن ازدياد نفوذ يعقوب بن الليث الصفار في خراسان وبلاد فارس واستيلائه على أملاك الدولة الطاهرية وازال نفوذهم سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) ذلك قد شكل قلق لدى الخلافة العباسية في بغداد وتهديداً لأمنها واستقرارها، لذلك ترتب عليها أن تعطي شرعية تقليد جديدة لأمراء ال سامان في بلاد ما وراء النهر، وهم آنذاك يعملون كعمال لدى الخلافة العباسية، لكن الخليفة العباسي المعتمد على الله بحنكته السياسية أراد من ذلك التقليد ضرب القوة الصفارية الخارجية بالقوة السامانية المواليه لطاعة الخلافة العباسية.

كان أولها في سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) حين كتب الخليفة المعتمد على الله بولاية بلخ وماوراء النهر إلى عامل الخلافة العباسية نصر بن أحمد بن أسد سامان(*) بصورة مباشرة من الخليفة في ظل الوجود الصفاري في خراسان الذي كان يولي أميرها عمال الأطراف. إذ اقدم نصرا على تولية أخيه اسماعيل بن أحمد على بخارى في عام ولايته نفسه.

وجدير بالذكر أن الخلافة حين أقدمت على توليه ال سامان بصورة مباشرة على بلخ وما وراء النهر تهدف من خلال هذه السياسة حماية مصالحها هناك، وما هو الا لترهيب وترغيب الوجود الصفاري في خراسان والعمل على تقليص نفوذهم هناك، بعد أن دخلوا إلى نيسابور وحطموا أكبر معاقل الطاهرين سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م).

ومن سياسة الخلافة تجاه أمرائها ذو الولاء والطاعة لها، إذ كانت تقدم إلى ارسال الهدايا والاموال من الخليفة إلى الامير مع عهد التفويض، إذ يُعد ذلك عامل كسب وزيادة الثقة بين الطرفين وعدم تخلي الخلافة عن مساندتهم. إذ أرسل الخليفة المعتضد بالله الخُلع وعهد تولية سجستان إلى الأمير اسماعيل بن أحمد الساماني وأمره بمواجهة طاهر بن محمد بن عمرو

(*) **سامان:** هو جد السامانية ويرجع نسبه الى الاسر الفارسية النبيلة اي انه من ولد بهرام بن اردشير بن سابور، حيث خدم ابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة، وبعد وفاته خلفه ابنه اسد الذي دخل مع حملة علي بن عيسى بن ماهان حين ولاه الرشيد على خراسان، وتوفى في ولايته تاركا له اربعة اولاد هم: نوح واحمد، ويحيى والياس، حيث تولى احمد فرغانة، ونوح سمرقند ويحيى الشاش واشروسنه، والياس هراة، واخاه اسماعيل بن احمد تولى بخارى: ينظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم: ٣٣١/١٢ .

وعناصره الشاكرية الذين ثاروا انتقاما لأسُر جدّهم عمرو بن الليث سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م). واستطاع الأمير اسماعيل بن أحمد من إجلاء عسكر الشاكرية عن البلاد.

وتقديراً لجهود الأمراء السامانيين العسكرية والادارية ومن مبدأ الوراثة الذي أقرته لهم الخلافة في تعيين أمرائهم سواء من قبل ولاتها في الاقاليم أم من قبل الخليفة نفسه مباشرة، اسند المعتضد ولاية بلخ وما وراء النهر إلى اسماعيل بن أحمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد سنة (٢٨٩هه/٩٠١م) إذ كان يظهر الولاء والطاعة للخلافة ويُعدها واجباً عليه.

ولما تولى الخليفة المكتفي بالله الخلافة (٢٨٩–٢٩٥هـ/٩٠٢–٩٠٨م) أقرّ اسماعيل بن أحمد في الولاية من الري إلى ما وراء النهر وبلاد الترك.

وعندما توفى اسماعيل بن أحمد سنة (٢٩٥هـ/٩٠٤م) اسند الخليفة المكتفي بالله ولاية خراسان وبلخ وما وراء النهر إلى ابنه أحمد بن اسماعيل بن أحمد فأرسل له عهد توليته مع أحد قادة عسكره طاهر بن علي بن وزير. إذ اتخذت الخلافة هذا الاجراء على وفق مبدأ الوراثة الذي أقرته لهم في تولية إخوانهم وأبنائهم إكراما لجهودهم مع الخلافة وتثبيت لسلطانهم.

بعد أن قتل أحمد بن اسماعيل على يد أحد غلمانه غيله في إحدى الليالي سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، تولى ولاية خراسان وما وراء النهر ابنه نصر بن أحمد بن اسماعيل، فنشب صراع بين الاخير، وعم أبيه اسحاق بن أحمد بن أسد وابنه الياس الذي طلب عهد التوليه، فدارت حرب بينهما، فأنفذ نصرا جيشاً يقوده حمويه بن علي من بخارى قاصدا سمرقند لانتزاعها من اسحاق بن أحمد، فاقتتلوا قتالاً شديدا استطاع حمويه من أخذ سمرقند قهراً من اسحاق بن أحمد.

تبين مما سبق أن موقف الخلافة العباسية عند وقوع هذا الصراع الاسري الساماني قد اتخذت موقف الحياد وانتظرت نتيجة الانتصار، والا في امكانها كانت تؤيد أحد أطراف الصراع لأقدمت على مساعدته.

وبويع الأمير نصر بن أحمد بن اسماعيل من قبل أهالي بخارى بعد مقتل أبيه أحمد بن اسماعيل سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، وجرت بينه وبين عم أبيه اسحاق بن أحمد صاحب سمرقند منازعات في الحصول على عهد التولية، فأرسل كل واحد منهما رسوله إلى الخليفة، فوقعت الحرب بينهما، وانتهت بانتصار نصرا و دخوله سمرقند وأخذ اسحاق بن أحمد اسيراً.

وعندما ارتقى الامير نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل في ولاية خراسان وما وراء النهر بعد وفاة أبيه نصر بن أحمد سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)، نازعه في عهد التولية عمه ابراهيم بن أحمد، وجرت بينهما حرباً انتهت بهزيمة عمه وانتصار الامير نوح واستيلائهِ على الولاية.

وهنا يتضح من ذلك أن سياسة الخلافة في ارسال عهد التولية لشخصين متخاصمين من الاسرة الحاكمة نفسها في الاقليم أو الولاية، كان يسوده التأخير والتباطؤ في ارسال عهد التولية من أجل عدم تفتيت وتفكك تلك الدولة وخلق فجوة أمنية وعسكرية هناك، فضلاً عمّا يلحق بها من اضرار اقتصادية للخلافة، ولهذا كانت تعطي عهد التولية للطرف المنتصر فقط.

وقد استقرت ولاية خراسان وما وراء النهر إلى عبد الملك بن نوح بن نصر بعد وفاة أبيه نوح بن نصر سنة (٣٤٣هـ/٩٥٤م)، ودامت ولايته سبع سنين وستةَ أشهر وعهد قيادة الجيش إلى بكر بن مالك وأمره بالتحرك من بخارى إلى خراسان، وشهد عهده خلالها العديد من حركات العصيان والحروب المستمرة مع البويهيين.

عمت الفوضى والاضطرابات في خراسان وما وراء النهر منذ أن ظهر التسلط البويهي في اقاليم خراسان ودخول أحمد بن بويه إلى بغداد سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) في خلافة المستكفي بالله (٣٣٣– ٣٣٤هـ/٩٤٤ – ٩٤٦م) الذي خلع على قادته ولقبه معز الدولة ولقب أخويه بعماد الدولة علي بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه. ولم تقم الخلافة العباسية بعدها في ارسال عهود التولية للأمراء السامانيين وكان دور الخليفة في مركز الخلافة شكلي فقط، وانما يتولى الأمراء بمبايعةَ الناس لهم هناك، فضلاً عن خاصتهم. في سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) تولى الامير منصور بن نوح بن نصر بعد أن سقط اخيه عبد الملك من الفرس ومات على اثر ذلك مباشرةَ.

إذ تولى الدولة السامانية أمراء صغار في ظل الفوضى والصراعات والحروب القائمة في خراسان وما وراء النهر ولم تعد الخلافة الأم الراعية لهم؛ بسبب السيطرة البويهية على بغداد. وقد تولى الأمير الساماني نوح بن منصور بن نوح في الثالثة عشر من عمره بعد وفاة أبيه منصور بن نوح سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م).

إن موت الامير نوح بن منصور الساماني يعني انقراض الدولة الساماني سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) على الرغم من تولى ابنه منصور بن نوح لكن الامير الصغير ليس بإمكانه مواجهة الفتن والحروب في ظل ظهور جديد للترك وأقام في شؤون جيشه في خراسان القائد (بكتوزن أيالة) الذي طمع في خراسان، وقبض على أبي الحارث منصور بن نوح الساماني

وسمل عيناه، وطمع في حكمهم ايلك خان فسار إلى سمرقند، وتوجهت قوات أخرى إلى بخارى يقودها فائقاً الذي سيطرة على خراسان وطرد عنها السامانية. فقصدهم محمود بن سبكتكين بجيشه فهرب أمراء الدولة السامانية من بخارى، وقبضه عليهم ايلك خان بعد أن جاء لنصرتهم وبذلك انتهى الوجود الساماني في خراسان وما وراء النهر سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م).

وفي الجانب السياسي فقد حرص الأمراء السامانيين بدفاعهم عن الثغور الشرقية ونشر الاسلام في بلاد الترك، واتصفت علاقتهم بالخلافة العباسية بالعلاقة الحسنة التي يسودها التفاهم والثقة المتبادلة ولم يخرجوا عن طاعتها، حتى أن علي بن عيسى طلب من الخليفة المقتدر (٢٩٥– ٣٢٠هـ/٩٠٨ – ٩٣٢م) بالذهاب إلى خراسان عندما ثار القرامطة عليه في بغداد.

ومن أسباب زوال الدولة السامانية سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م) هي :

أولا: التمردات والحركات الانفصالية التي قام بها عمالهم في الولايات والاقاليم استنزفت قوتهم العسكرية في استردادها.

ثانيا: الصراع على ولاية العهد ما بين أمراء الأسرة السامانية في الحصول على شرعية التقليد من الخلافة وكان ذلك الصراع يجر للحرب بين الأبناء واقربائهم بينما الخلافة كانت تعطي الطرف المنتصر فقط.

ثالثا: تولى أمراء سامانيين ضُعَفَاء في ظل ظهور التسلط البويهي في عدد من اقاليم المشرق وانحياز عدد من عمال السامانيين لهم بدافع حصولهم على التقليد منهم، فضلاً عن الحروب الداخلية وكثرة الفتن.

رابعا: استعمال الدولة السامانية للأمراء والقادة الاتراك والمماليك وكان لهؤلاء دور أساسي في سقوطهم.

خامسا: خروج غزنة عن طاعة السامانيين حين تم تعيين البتكين قائد على جيش غزنة ويأتمر بأمرتها.